(٢) القضية الفلسطينية عربيا

توقف اطلاق النار بين السلطة والمقاومة ، منذ حوالي شهر ، ولكن الازمة تبدو قائمة . وعلى الرغم من أن المواطنين العاديين ، من غير الفلسطينيين خاصة ، عادوا الى حياتهم اليومية، فان عودتهم لا تدل على أن الامور عادت الى مجاريها . واذا كان هنالك من يحاول ان يوحي بأن ما حدث لا يمكن ان يتكرر ، كما فعل الشيخ امين الجميل (صدى لبنان ٦/٥) ، فان هنالك من يؤكد أن الازمة لم تنته .

لقد عالجت الاخبار ، مجلة الحزب الشيوعي اللبناني هذه القضية (٦/٩) فأكدت « ... ان اسباب اندلاع الازمة ما زالت قائمة ، او على الاقل ، الاسباب الرئيسية . وما زالت قائمة كذلك المظاهر الاساسية لعواقب الازمة». وأشارت الاخبار الى أن الحواجز ترفع من مكان لتقام في مكان اخر . والى أن هنالك « تعزيزات وحفريات في أماكن عديدة ، خاصة حول المخيمات » . كما أشارت الاخبار الى « الشائعات التي تقوم اوساط السلطة وصنائعها بنشرها في مختلف مناطق لبنان ، وفي بيروت ، عن انذارات محددة جديدة توجه الى المقاومة ، لتنفيذ كذا وكذا من « الشروط المتفق عليها » — وهي شروط لم يجر البحث فيها بالاساس — » وقالت أن هذه الشائعات « لا تساهم الا في شحن النفوس باسوأ انواع المشاعر في هذا الظرف المتوتر » . وختمت الاخبار مقالها قائلة : « الازمة اذن لم تنته ، بل اننا نشهد الان مرحلة جديدة منها . ومرحلة خطيرة . وستحاول قوى عديدة ، داخلية وخارجية ان تعطيها طابعا طائفيا ، ولا يستبعد ان تحاول هذه القوى نفسها دفع الامور الى الشكل من الصراع تتعدى الصراع السياسي التقليدي » .

وما تطرحه الاخبار ، ليس بعيدا عن الصورة الحقيقية . ان اطلاق النار توقف ، ولكن الازمة لم تنته ، والسبب ان الازمة كانت قائمة قبل اطلاق النار ، ولم تنشأ يوم تكلمت البنادق والمدافع والطائرات . وحين تم وقف اطلاق النار لم يتغير شيء . لقد ظلت المقاومة مقاومة والسلطة سلطة . وما جرى التفاهم حوله لا ينهي المشكلة القائمة . اما الجديد في الامر فهو الجرح العميق الذي خلفته الاحداث والشك الذي راكمته بين الطرفين . ومن هنا فان ما نقل عن الشيخ امين الجميل من أن ما حدث لن يتكرر لا ينسجم مع حقيقة الامور ، ولا يتفق مع « توجسات » حزب الكتائب نفسه .

كيف يمكن ألا يتكرر ما حدث ؟ يمكن عندما تتحول الدولة اللبنانية والجيش اللبناني والجماهير اللبنانية الى قوى مقاتلة ضد العدو غير هيابة . وما دام هذا لم يحدث ، وما دام الضغط العسكري « الاسرائيلي » والضغط السياسي الاميركي قائمين ، وما دامت السلطة في لبنان مقتنعة بجوار السلاح ، فان ما حدث سوف يتكرر .

وهنالك ما يؤكد ان الازمة لم تنته . ولن نتحدث هنا عن الحواجز والاعتقالات ، ولا عن الاستعدادات التي تجريها السلطة . بل سنتحدث عن بعض قضايا اخرى . وهذه القضايا هي :

١ — التركيز المستمر على أن وجود الثورة الفلسطينية على الاراضي اللبنانية يمس سيادة لبنان . وان وجود عناصر مسلحة ، غير خاضعة للقوانين اللبنانية انتهاك لهذه السيادة . ولبنان حريص على سيادته . وحرصه يفرض عليه ان يخضع كل الذين على أراضيه لقوانينه . وقوانينه تمنع حمل السلاح الا بترخيص ، كما تمنع نشوء الجمعيات السرية المسلحة وغير المسلحة . وهذا يعني ان حل المنظمات المسلحة وتجريدها من أسلحتها عمل من أعمال السيادة . من يستطيع أن يقول غير ذلك ما دامت القضية تناقش من هذه الزاوية ؟ ولكن لماذا لا تناقش المسألة من زاوية ان الخطر الصهيوني هو التحدي الاكبر لسيادة الامة العربية ، ولسيادة كل قطر من اقطارها ، وان التصدي لهذا التحدي هو أنبل اعمال السيادة ؟ ان مناقشة القضية من هذه الزاوية هي التي ستضع حجر الاساس لحل التناقضات التي يمكن ان تنشأ بين الثورة والانظمة العربية ، ومنها السلطة في لبنان . ولكن منطق السلطة لا يقبل هذا المنطلق ، ان سيادة لبنان هي سيادته على اراضيه ، ضمن حدوده الجغرافية . أما التحدي على الحدود فلا يبدو محسوبا من الاخطار الكبيرة التي تهدد السيادة . واذا اعتبر فقولا لا فعلا . ولذلك فان مضمون السيادة الان